يختلف الأشخاص في طبيعة الأدوار التي يؤدونها عبر حياتهم ومنها ما يتعلق بصناعة أحداث التأريخ، وان عمق تأثيرهم لا يتأتى من حجم أدوارهم فحسب بل ربما من أهمية مبدأ أو فكرة تبنوها في مرحلة ما، وقد تكون الفكرة قد رسمت لأصحاب الأدوار الكبيرة، وإذا ما طبقنا هذا على تاريخ العراق المعاصر فإننا نجد ان فكرة تشكيل تنظيم الضباط الأحرار وما تلاها من أحداث أعطت لعدد من الشخصيات أدوارا كبرت أو صغرت حسب الظروف المحيطة بكل واحد منهم، ولأن تاريخ العراق في العهدين الملكي والجمهوري أدت فيه بعض الشخصيات أدوارا متباينة، جيرت لبعضهم جهود غيرهم، ووجدنا ذلك واضحا في مسألة تنظيم الضباط الأحرار، وما تلاها من إصدارات، ولأن إسماعيل إبراهيم العارف يمثل واحدا من تلك النخبة قد غمط دوره، وجرى تهميشه وابعد خارج البلد، وكلف بمسؤوليات بعيدة عن الساحة السياسية المحلية، ولما أثير حول شخصيته من ملابسات، وبغية تسليط الضوء على جانب من الحقيقة ارتأيت دراسة " إسماعيل العارف ودوره العسكري والسياسي في العراق" من تأريخ ولادته حتى تأريخ وفاته. وتنوه الباحثة على إن الرسالة تابعت بدقة نشاطه وفعالياته الوظيفية والسياسية حتى عام 1963، إذ إن المترجم له لم يبد أية نشاط بعد ذلك،باستثناء النشاط الثقافي والتفرغ لكتابة سيرته ومذكراته واتخاذ القرار بالعيش خارج العراق حتى وفاته.

اقتضت طبيعة الرسالة تقسيمها إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، جاء الفصل الأول تحت عنوان " إسماعيل العارف النشأة الأسرية وبناء الشخصية العسكرية "، تناولت فيه ولادته ونشأته، ونسب عائلته، وتعليمه والتحاقه بالمدرسة العسكرية وابرز نشاطاته في صنف الهندسة، ثم بواكير نشاطه السياسي بتأسيس جمعية سرية مع بعض زملائه عام 1941، وسلطنا الضوء فيه على حياته العسكرية، لا سيما دوره في اللواء الخامس والعشرين بعد ثورة 14 تموز 1958.

أما الفصل الثاني فقد كرس لتناول سيرة إسماعيل العارف ونشاطه السياسي قبل ثورة 14 تموز 1958 وما بعدها ، تضمن عرض دوره في النشاط التنظيمي للضباط الأحرار واجتماع الكاظمية 1956، ونشاطه السياسي في الخارج عند قيام ثورة 14 تموز والدفاع عن الثورة فيما بعد ومعطياتها المرحلية، ثم قيامه ببعض الوساطات لدى عبد الكريم قاسم بحكم علاقته الشخصية الوثيقة معه.

وفي الفصل الثالث سلط الضوء على نشاطه الوظيفي وزيرا للمعارف وواجهات نشاطه الإداري، واهتماماته الثقافية ، إذ بذل جهودا طيبة من خلال توليه منصب وزير المعارف عام 1960، و بناء مؤسسات التربية والتعليم في العراق، فضلا عن دوره في وزارة الإرشاد التي تولى مسؤوليتها وكالة عام 1961 والتي شهدت هي الأخرى اتساعا ملحوظا في مديرياتها ومراكزها التي انتشرت في جميع أنحاء العراق. وقدمت الخاتمة رؤيا عن دور الشخصية وفعالياتها السياسية والعسكرية.

تنوعت مصادر الرسالة، جاءت في مقدمتها، أوراق إسماعيل العارف المحفوظة في ملفة اضبارته الشخصية في مديرية التقاعد العامة، التي سلطت الضوء على الكثير من الأوامر الإدارية، والتعميمات الخاصة به، التي وظفت في ثنايا الفصل الأول. أما مذكراته الشخصية، التي وردت بعنوان " أسرار ثورة 14 تموز وتأسيس

الجمهورية في العراق" فقد أفادت الباحثة منها كثيرا وعدتها المفاتيح الرئيسة في إخراج فصول الرسالة، بعد أن دققتها وقارنتها مع مصادر ومؤلفات أخرى عديدة بهدف الوصول إلى الحقيقة التاريخية، وهي هدف كل مؤرخ ثبت، فضلا عن مذكرات أخرى وردت تفاصيلها في قائمة المصادر.

أما الكتب والمؤلفات المطبوعة فكانت لها حصتها في إعداد هذه الرسالة، تأتي في مقدمتها مؤلفات رجال ثورة 14 تموز 1958 نذكر منها، "أسرار ثورة 14 تموز 1958" لصبحي عبد الحميد، "وثورة 14 تموز أسرارها- أحداثها- رجالها"، لمؤلفه جاسم كاظم العزاوي، وكتاب " ثورة 14 تموز في العراق" لعبد الكريم فرحان، و " قصة ثورة 14 تموز والضباط الأحرار" لصبيح علي غالب، و"حقائق عن ثورة 14 تموز في العراق" لمحسن حسين الحبيب، وغيرها من المؤلفات التي تناولت أحداث الثورة وتفرعاتها المختلفة. فضلا عن ذلك المؤلفات التي تناولت ثورة 14 تموز 1958 بصفتها رسائل أكاديمية، يأتي في مقدمتها كتاب ليث عبد الحسن الزبيدي الموسوم ثورة 14 تموز 1958.

أما الكتب المترجمة فقد شكلت رافدا آخر من روافد الرسالة، يأتي في مقدمتها كتاب حنا بطاطو، العراق الكتاب الثالث " الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار"، وكتاب فاروق وبيتر سلوغلت " العراق من الثورة إلى الدكتاتورية" ، إذ تناول طبيعة الأحداث التي شهدها العراق خلال سنوات حكم عبد الكريم قاسم من 1958-1963. وركزت الباحثة في التفتيش عن دور شخصية إسماعيل العارف أبان تلك الأحداث.

أما الكتب الأجنبية على الرغم من ندرتها، إلا إنها ساهمت بجزء يسير من تغطية نشاطات هذه الشخصية نذكر منها كتاب Uriel Dann, Iraq under Qassem 1958-1963 A political History، وكتاب صاحب السيرة المبحوثة الموسوم بIraq Reborn Afisth and Account of The July 1958 وكتاب Republican Iraq لمؤلفه Majid Khadduri، وهو من المؤلفات التي تناولت أحداث العراق أبان العهد الجمهوري بدقة وموضوعية، إذ لا غنى للباحث العراقي الذي يكتب في هذه المرحلة من العودة إليه.

وكانت للدوريات من الصحف والمجلات، إسهامات في إعداد هذه الرسالة، نذكر منها صحف الجمهورية، والفجر الجديد، ومن المجلات آفاق عربية التي خصصت أبوابا لمناقشة تأريخ العراق المعاصر بشكل عام، وأحداث ثورة 14 تموز وتفاصيلها بشكل خاص. فضلا عن مجلة صوت اللواء الخامس والعشرين التي أشرف على إصدارها مباشرة إسماعيل العارف.

ثم جاءت المقابلات الشخصية التي أجرتها الباحثة مع بعض الشخصيات التي ساهمت في ثورة 14 تموز 1958، وكانت على صلة بشخصية إسماعيل العارف، فضلا عن الرسائل التي تلقتها الباحثة من بعض أفراد أسرة إسماعيل العارف التي كشفت عن الكثير من الأحداث والفعاليات التي شارك فيها صاحب السيرة المدروسة.

واجهت الباحثة صعوبات جمة كمعظم الباحثين العراقيين، منها صعوبات الوضع الأمني، لاسيما إن الباحثة من سكنة محافظة ديالى التي وصفت، ولازالت توصف

بانها من المحافظات الساخنة، إذ وجدت منغصات عدة بشأن وصولها إلى بغداد، والإطلاع على مكتباتها التي واجهت إشكاليات العبث والتدمير، فضلا عن ذلك صعوبة التعاون مع بعض مؤسسات الدولة، وامتناعها عن تزويد طلبة الدراسات العليا بالوثائق والمعلومات وخاصة التاريخية منها.

ومهما قلت فان هذا الجهد يبقى متواضعا لا يخلو من الهفوات والثغرات، خاصة وان الشخصية موضوع الدراسة، والمدة التي عاصرتها، خاضعة لوجهات نظر متعددة وآراء مختلفة، وفيها من الإسقاطات السياسية والذاتية الشيء الكثير، إلا إنني، وعلى الرغم مما ذكرته استعنت بالله عز وجل وتوكلت عليه، فكانت الثمرة هذا الجهد المتواضع. وختاما أضع الرسالة بين يدي رئيس وأعضاء لجنة المناقشة لتقويمها وتثبيت ما يرونه مناسبا من الملاحظات والمداخلات العلمية لإخراجها بأفضل صورة والله ولي التوفيق.